

عنوان الدرس : يوسف الصديق

كود الدرس : les_cf_3

الكاتب : الأب / فكتور حشوه

أحبنا الدارسين،،

اسعد الله أوقاتكم جميعاً و أهلاً وسهلاً بكم في دروس الأسرة السعيدة

تابعنا في الدرس الماضي قصة الصديق يوسف الذي سعى في اثر اخوته بحثاً عنهم وعن مصلحتهم وكيف قابله اخوته بالتآمر ضده والتخلص منه وتساءلنا أهكذا يكافئ فاعل الخير؟ وقلنا بأن أخ يوسف الأكبر حاول إنقاذ يوسف من أيدي اخوته ولكن رغبتهم في التخلص منه بأية وسيلة فاقت كل رأي سديد ومنطق أكيد. وتذكرنا كيف ان المسيح له كل المجد جاء إلى أرضنا طلباً لنا وكيف أننا نحن طالبنا بالتخلص منه ولكن يسوع بعد ان مات وقام لا يزال يمد لنا يده لخلصنا وراحتنا من كل جهة فالمحبة لا تسقط أبداً .

ما اثر في كثيراً ان هؤلاء الاخوة بعد ان رموا أخاهم يوسف في البئر متعذباً جسدياً ومتألماً نفسياً لما حل به، جلسوا للأكل والشرب وكأن شيئاً لم يكن. الخطية خاطئة جداً ولا تعرف حدوداً وهي التي تفصل الإنسان عن الله وعن أخيه الإنسان. فالخطية هنا أقوى من رابطة اللحم والدم بين الاخوة.

وهذه نقطة مثيرة جداً. يعتقد الكثيرون بان رابطة اللحم والدم هي أقوى رابطة في الوجود، ولكن صحفنا ومجلاتنا حافلة بالأخبار عن الاخوة الذين ضحوا بأخواتهم من اجل مصالحهم الشخصية. وفي الوقت الذي اشكر الله من كل القلب من اجل الاخوة والأخوات الذين يحبون بعضهم البعض ويضحون من اجل أحدهم الآخر، فقصة يوسف تؤكد على ضرورة تنقية الدوافع وتطهير الأهداف حتى لو كانت الأمور الرائعة على ما تبدو ظاهرياً. وان الإنسان الذي امتلاء قلبه من محبة الله يعكس هذه المحبة الباذلة التي لا تطلب ما لنفسها بل للآخرين من حوله، حتى عندما لا نحظى بتقديرهم وعرفانهم.

لم يكتف اخوة يوسف بمحاولة التخلص منه بإلقائه في البئر ولكنهم تأمروا معاً لنفيه خارج بلادهم كيلا يلتقوا به فيما بعد. وكان لهم ما أرادوه.

قرر الاخوة ان يبيعوا أخاهم يوسف عبداً لمجموعة من التجار الذين كانوا في طريقهم إلى ارض مصر للتجارة. فباعوه لهم بأنجس الأثمان. كان السعر الرسمي للعبد في ذلك الوقت ثلاثون قطعة من الفضة أما اخوة يوسف فباعوه بمبلغ عشرين من الفضة. باعوه عبداً لغرباء بأنجس ثمن. ألم ترق قلوب الاخوة ليوسف؟ ألم يفكروا في أخيهم وهي يبيعونه لغرباء ذاهبين إلى ارض بعيدة؟ ألم تؤنبهم ضمائرهم على فعلتهم؟ ألم يفكروا في مشاعر أبيهم الذي احب يوسف حباً كبيراً؟ ألم يفكروا في أخ يوسف الأصغر بنيامين الذي لم يكن مع اخوته في المؤامرة التي خططوا لها ضده؟ ألم يأخذوا في الحسبان رأي أخيهم رأوبين الذي أراد ان ينقذ يوسف من يد اخوته خاصة وانه كان غائباً عندما عقد الاخوة صفقة بيع أخيهم يوسف للتجارة الأجنبي؟ ان حقدهم على أخيهم يوسف وحسدهم له أدى إلى كسر قلب الأب ونفي يوسف إلى ارض غريبة ووضع الحواجز بين الابن والأكبر وبين اخوته، بالإضافة إلى تجريح قلب بنيامين الأخ الأصغر ليوسف حزناً على فقدان أخيه. يا لبشاعة الخطية ويا لقساوة الإنسان.

من الغريب والعجيب ان الكتاب المقدس لا يسجل ليوسف أي كلمة سلبية يقولها في اخوته. كما لا يبين الكتاب ما دار في نفس يوسف من مشاعر وخواطر.

واعتقد ان السبب في ذلك يعود إلى ان يوسف لم يقل في اخوته كلمة سوء ولم يفكر من نحوهم أية أفكار سلبية. وإثباتا على ذلك انه عندما التقى باخوته بعد سنوات طويلة وبعدما اصبح رئيس وزراء مصر وقال لاخوته "انتم نويتم لي شراً ولكن الله قصد بالشر خيراً" ليس ذلك فقط بل وفي محاولة لتخفيف أجزائهم وشعورهم بالذنب على فعلتهم قال لهم "لا تتأسفوا لأن ولا يصعب عليهم أنكم بعثتموني إلى هنا لان الله أرسلني أمامكم حفاظاً على حياتكم" لقد آمن يوسف بسيادة الله المطلقة على كل الظروف والأحوال. وان ما يقوله الله سوف يتم لا محالة، فانه أن قال فعل. لقد وضع يوسف ثقته لا في الأحوال والظروف المحيطة ولا في اخوة له هم من البشر ولكن وضع ثقته في إعلانات الله له من خلال الأحلام. فانه قصد من خلال كل هذه الظروف ان يكون يوسف سبب بركة كبيرة لاخوته. لقد دفع يوسف الثمن نيابة عن اخوته لكي يريحهم من كل جهة. يقول الرسول بولس " الموت يعمل فينا والحياة تعمل فيكم" لقد قبل ان يباع عبداً وان يتغرب وان يعاني الأمرين كي يكون سبب حياة وبركة لا لاخوته فقط بل لأولادهم وأبيه أيضاً. هذه هي التضحية الرائعة في افضل معانيها وهنا استذكر قول المفكر جوزيف خيزوني والذي سبقته وان اقتبسته " في كل من عصور التاريخ يبرز عدد من القادة الذين ضحوا براحتهم الشخصية واحتياجاتهم الفردية وكرسوا طاقاتهم ومواهبهم في سبيل شفاء جراح البشرية وآلامها. فهل العزم اليوم بأن نكون من بين هؤلاء الأبطال!"

يقول الرسول بولس " أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" ليت الرب يقوي و يشدد كل واحد فينا كي نكون كما يريدنا الله ان نكون.